الباب التاسع

مصطلحات التراث العسكري

Military Legacy Terminologies

التراث العسكري

Military Legacy

التراث لغة: هو ما وُرِث، وقد ورث العرب والمسلمون عن أجدادهم من جملة ما ورثوا، مؤلفات قيمة في شتى مجالات العلوم والآداب والفنون.

والتراث العسكري العربي الإسلامي، لا يقل أهمية عن تراث العرب في العلوم والآداب والفنون، وتطبيق هذا التراث عملياً، صان حضارتهم وحماها من الغزو الخارجي، ووضعها في المحل اللائق بها، قائدة للحضارة العالمية ردحاً طويلاً من الزمن، كما هو معروف على نطاق العرب والمسلمين وعلى نطاق الأجانب من غير العرب والمسلمين أيضاً.

إن علوم العرب والمسلمين العسكرية، في ميدان البحث النظري وفي ميدان التطبيق العملي، كما يدل على ذلك النزر القليل المتبقي من تراثهم العسكري الضائع، وهو دليل قاطع على سعة اطلاعهم ومهارتهم في العلوم عملياً ونظرياً.

أنواع كتب التراث العسكري العربي الإسلامي:

تشتمل كتب التراث العسكري العربي الإسلامي -بالنسبة إلى محتوياتها- على أنواع كثيرة، أهمها ما يلي:

١- النوع الأول: كتب الأسلحة بشكل عام:

وهي الكتب التي تشرح الأسلحة التراثية، السيف، والقوس، والسهم، والدبوس، والمنجنيق، والدبابة، والدرع، والترس.

٢- النوع الثاني: كتب الأسلحة بشكل خاص:

وهذا النوع يشرح سلاحاً واحداً بالتفصيل: أنواعه، وأسماءه، وأقسامه

وأجزاءه، وصناعته، ومواد صناعته وأماكنها، ووصف التدريب عليه، وأثره في الحرب، والتدريب على استعماله. مثل كتاب السيف وكتاب المنجنيق.

أما كتب السيوف، فتصف غالباً، عن فراسات السيوف، نعتها، وصفاتها، ورسومها، وعلاماتها، وتشمل سيوف العرب وسيوف غيرهم. وكتب السيوف العربية تقتصر على وصف سيوف العرب، وتعدد أنواعها، أسمائها، وأشهر السيوف العربية، وأسماء أقسامها وأجزائها مفصلاً، والتدريب عليها، وصناعتها وأماكن صنعها.

وأهم ما يمثل التراث العربي الإسلامي ما يلي:

١- الخيل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

للخيل مكانة كريمة عند الناس من قديم الأزمان على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ومعتقداتهم، إذ كانت زينة ومتاعاً لهم في السلم، وعدة وعتاداً لهم في الحرب.

والخيل عند العرب في جاهليتهم على ما كانوا عليه من جدب وفقر في مكان معين من الاعتزاز بها والحرص عليها والرعاية لها، وقول الشعر في وصفها ومدحها والالتحام بها، قال امرؤ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقد سمت العرب الخيل خيلاً، من الخيلاء والزهو الذي يبدو منها، وهي واقفة أو جارية، حيث تبدو وكأنها تتيه بنفسها عجباً، بما حباها الله تعالى من تناسق في الأعضاء وجمال في الخلقة وبما زينها به من أعراف.

وقد ذكر الله تعالى الخيل مرات كثيرة في القرآن تنويهاً بها، ولفتاً إليها ورفعاً

لقدرها باعتبارها نعمة كريمة من نعمه جل شأنه على عباده. يقول الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾ [العاديات: ١ - ٥].

وقال البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله، وتصديقاً بوعده، فإن شِبَعَه، ورِيَّهُ، ورَوْثه، وبَوْلَه، في ميزانه يوم القيامة» أي يوضع في ميزان حسناته.

٢- السيف Sword

كان السيف الإسلامي وما يزال علماً شامخاً يبرهن على تقدم الأمة الإسلامية في مجال صناعة الأسلحة، وقد جرت في عصرنا الحاضر عصر التقنية العالية محاولات عديدة من جانب علماء الغرب للكشف عن أسرار صناعة النصول الإسلامية وطرق تعدينها، وانفردت هذه النصول عن غيرها ببعض المميزات من أهمها ظاهرة الجوهر الذي أطلق عليه أيضاً الرند وماء اليف والأثوء والفسفسة.

تنقسم السيوف الإسلامية التي وصلت إلينا حتى الآن إلى طرازين هما السيف المستقيم والمقوس. وقد استعمل المستقيم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. ويظهر ذلك بوضوح من خلال أشكال السيوف التي وردت على بعض المسكوكات مثل دينار عبد الملك ٧٧هـ ودينار الطائع ٣٦٥هـ، وعلى بعض الآنية الخزفية والبرونزية وفي صور المخطوطات العديدة. مما يمكننا من القول إن أشكال السيف الإسلامي لم تتغير حتى القرن الخامس الهجري، ومن المحتمل أن يكون السيف المستقيم قد نشأ في آسيا واستعمله الآشوريون حتى القرن العاشر

الهجري. وكانوا يأتون بالسيوف وأسنة الرماح ونصال السهام من الخارج، لكن أغماد هذه السيوف وقصب هذه الرماح وأعواد تلك السهام كانت من الصناعة المحلية بمواد من صميم أقاليمهم، وكذلك سروج الخيل وأقتاب الإبل وما عليها من حدوج وهوادج.

٣- الدرع Armor

الدروع من الأسلحة الدفاعية التي عرفها العرب منذ جاهليتهم، والدرع ثوب يلبس في الحرب لتغطية الصدر والظهر ونصف الذراعين تقريباً لوقاية مرتديه من ضربات السيوف وطعنات الرماح ورميات السهام.

وقد اهتم العرب بالدروع قبل الإسلام وبعده، ووصفها الشعراء ومجدوا دورها لأنها وقاية للفارس ووسيلته في الدفاع. ومن خلال الأشعار التي وصلتنا نتبين أن العرب عرفوا الخوذة الواقية للرأس وتسمى البيضة.

واستعمل المسلمون الدروع منذ معارك الإسلام الأولى وكان للرسول صلى الله عليه وسلم درع يقال لها "ذات النصول" ودرع أخرى اسمها "الصفدية" وكان له ﷺ درع يوم أحد وهي ذات خوذة من الزرد اسمها "مغفر".

وقد صنعت الدروع من مواد مختلفة: زرد الحديد وهو عبارة عن حلقات صغيرة كثيرة العدد متداخلة بعضها في بعض لتكون ما يشبه النسيج، أو تصنع من صفائح معدنية قليلة العدد تسمى عندئذ "لامة"، وقد تتخذ الدروع من القماش السميك كالكتان أو الجلد وتسمى في هذه الحالة "دلاص". وكان العرب يلبسون الدرع على ثوب من النسيج حتى لا تؤثر صلابتها على المقاتل. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صناعة الأسلحة أنها أيضاً مهنة شريفة امتهنها الأنبياء منهم نبي الله داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

٤- المنجنيق:

يمكن تعريف المنجنيق بأنه: "آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الأحجار والسهام وقوارير النفط أو أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو. وكلمة "منجنيق" أو "مجانيق" دخلت العربية من الفارسية تحريفاً لعبارة "من جه نيك" وقيل إنها تعني "أنا ما أجودني" أو بكلمة "منجك" ومعناها الارتفاع إلى فوق.

ولم يكتف المؤرخون بنسبة المنجنيق إلى الفرس والروم بل ذهب بعضهم للتأكيد على أن العرب لم يعرفوا المنجنيق إلا بعد الإسلام لما اختلطوا بأبناء الشعوب المفتوحة وأنهم في جاهليتهم لم يعرفوا أياً من الأسلحة الثقيلة من منجنيق أو غيره. ويقول الأستاذ عمر أبو النصر مثلاً في هذا الصدد: "لم يعرف العرب آلات الحصار قبل الإسلام لأن أحداً لم يكن يحاصرهم ومنازلهم في الصحراء والخيام ولا كانوا هم يحاصرون أحداً. ولما اختلط العرب بالفرس والروم وحاربوهم كان من جملة ما اقتبسوه منهم آلات الحصار وأهمها المنجنيق والدبابة هي نوع من البرج يجلس ضمنه الجنود المكلفون بمهاجمة أسوار موقع ما.

٥- الفروسية:

الفروسية لغة هي: فراسة - فروسية، حذق أمر الخيل وأحكم ركوبها، فهو فارس بالخيل، ويقال فلان فارس، صار ذا رأي وعلم بالأمور، فهو فارس بالأمر، عالم بصير، والفارس هو الماهر في ركوب الخيل، والفرسان هم المحاربون على ظهور الخيل، والفراسة المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، والفرس - واحد الخيل «الذكر والأنثى في ذلك سواء».

تعني الفروسية الاستبسال العفيف والتضحية الفردية والجماعية من أجل مبدأ - وإغاثة الملهوف وعقيدة الشرف، وإجلال السمو الأخلاقي، كما تثير في

النفس معاني السماحة الباسمة وسط المخاطر، والرقة التي تلازم القوة والتودد والكرم في معاملة العدو.

والفروسية نزعة طبيعية من نزعات النفس الإنسانية، فهي انطلاق مدعم نحو المثل العليا، انطلاق تؤازره شجاعة المقاتلين وعزيمتهم. كما أنها منهاج أحكمت عقائده وشرائعه ودقائقه واتبعت في كل مكان بطريقة واحدة.

إن الفارس هو الفتى بين الثامنة عشر والأربعين. والذي تكتمل قوته وصفاته الكريمة، ويستخدم قوته في سبيل الله وفي نصرة الضعيف، عافياً عن عدائه، موفياً بعهده، زاهداً فيما قد يكون له من حقوق خاصة، وإنه لرجل يكثر حساده ولكن لا يعاديه أحد.

والفروسية تظهر في ثلاثة أشياء: ركوب الخيل، والمسابقة عليها ورمي النشاب، واللعب بالرمح.

فالفروسية فروسيتان، فروسية العلم والبيان، وفروسية الرمي والطعن. ولما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان، والبلاد بالسيف والسنان وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ومن عداهما فإن لم يكن ردءاً وعوناً لهما فهو كَلٌّ على نوع الإنسان وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بجدال الكفار والمنافقين وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين فعلم الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما.

تجهيز المغازي في عهد الملك عبد العزيز

لقد مرت البلاد السعودية منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى بقيادة الإمام

محمد بن سعود إلى عصر الدولة السعودية الثالثة وإعادة التأسيس بقيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بعدة حروب وغزوات لمجابهة الحملات المعادية من الأتراك وغيرهم ضد الدعوة الإسلامية التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمناصرة القادة السعوديين، والمتتبع لهذه المغازي يجد أنها اتبعت أسلوباً منظماً ينبع من أساليب التجهيز للغزو في الدولة الإسلامية الأولى ويمتد إلى فن الحرب في الإسلام.

ومن تلك الأساليب التي كان معمولاً بها في التجهيز للمغازي وإدارة الحرب على غرار ما كان معمولاً بها من أيام الدولة السعودية الأولى حتى الدولة السعودية الثالثة كما رواها لنا المؤرخان "ابن غنام وابن بشر" في كتابيهما، هو نظام الألوية أو الرايات، وذلك بتقسيم البلاد إلى ألوية أو رايات تجهز الغزوات على أساسها فمثلاً:

١- لواء العارض: ويشمل الرياض والدرعية وضرماء والخرج وما حولهم.

٢- لواء الوشم: ويشمل شقراء والسر والقويعية وما حولهم.

٣- لواء الحوطة والحريق وما حولهما.

٤- لواء الشعيب والمحمل ويشمل حريملاء والقرينة وملهم وثادق وما حولهم.

٥- لواء سدير ويشمل المجمعة والزلفي والعودة وحوطة سدير.

٦- لواء القصيم ويشمل بريدة والرس والخبراء والبدائع وما حولهم.

٧- ألوية البادية وتشمل القبائل التي تعيش في البر والهجر وهكذا وبقية أقاليم الديار السعودية.

وكل لواء له قيادة ترتبط بالقيادة العليا وله حامل للراية يحملها أناس مخصوصون من أسر معروفة ولهم عزوة يعتزون بها. وتجهز هذه الألوية بطرق منظمة تسمى الجهاد والنائبة وذلك بأن يختار الأهالي من بينهم هيئة تسمى هيئة النظر أو الفض من ذوي الخبرة والدراية بأحوال الناس ويوكل إلى هذه الهيئة تحديد عدد المجاهدين أو الغازين من كل أسرة أو عشيرة وكم المال أو النائبة التي تنوبهم لتجهيز المغازي بالمال والطعام والسلاح والعتاد والراحلة وبعد تحديد وتخصيص الجهاد والنائبة من قبل الهيئة يوكل إلى شخص معين يسمى النائب يجمع ما حدد في البيانات ويرتبط هذا النائب بأمير البلدة، لكي يستمد منه السلطة لتنفيذ ما أقرته هيئة النظر، ويختار النائب من بين أعضاء الهيئة لينوب عنهم في التنفيذ ويتبع ثلاثة طرق على الأقل في تجهيز المغازي هي:

١) الطريقة الأولى: الجهاد بالنفس (التطوع):

وهي تطوع أناس للقتال لكنهم لا يستطيعون تجهيز أنفسهم بالطعام والراحلة والسلاح وفي هذه الحالة يجهزون من قبل الأسرة الموسرة لتنوب عنهم وأولادهم في الجهاد بالنفس أو يجهزون من قبل الحاكم وولي الأمر.

٢) الطريقة الثانية: الجهاد بالمال (النائبة):

النائبة وهي دفع مبلغ معين من المال لينوب عن تجهيز المقاتل بالطعام والراحلة والسلاح وفي هذه الحالة يقوم الحاكم وولي الأمر بتجهيز الرجال المتطوعين وهي بمثابة مساهمة الأهالي بالجهاد عن طريق المال. . وقد كان من عادة أهل نجد في أي موقف حربي توزيع جميع النفقات والتكاليف على الأهالي بالعدالة حسب مراكزهم المالية وأوضاعهم المعيشية، ويسمون ذلك (النائبة) حيث تشكل لجنة من ذوي الخبرة والديانة والعدالة هم الذين يتولون توزيعها بين

القبائل والأهالي والأفراد، وهؤلاء يطلق عليهم لجنة (فض النائبة)، ويعين شخص يتولى استحصالها وتسليمها لأمير البلد.

٣) الطريقة الثالثة: الجهاد بالنفس والمال:

وتسمى الجهاد وذلك بتجهيز الفرد المقاتل نفسه بجميع ما يحتاجه من المال والطعام والسلاح والعتاد والراحلة، وذلك مع مراعاة الوضع المالي والأسري وعدد أفراد الأسرة حيث إنه مخصص لكل بلدة عدد من المجاهدين يوزع على القادرين من سكانها.

وتجتمع هذه الألوية بعد اكتمال تجهيزها في منطقة أو مكان محدد يلتقي فيه الجنود بالقيادة لتلقي الأوامر والتوجيهات والاستعداد للغزو، وهو ما يسمى في العصر الحديث بمنطقة التجمع أو الحشد، وفي الغالب يكون هذا المكان المختار للتجمع مورد ماء ومكان أمين ومعروف للناس، وبعد الغزو يعودون إلى ديارهم مزودين بما كسبوا من غنائم في حالة النصر وما تحملوه من خسائر في حالة الهزيمة، وهكذا يتكرر الوضع عند كل غزوة.

فقد أشار الريحاني في رحلته الأولى سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) إلى تجمع أهل نجد للقتال تحت راية الملك عبد العزيز فقال: (يصدر الأمر من الرياض فيحمله النجابون إلى أقاصي البلاد ليجتمع على أحد الآبار أو في أحد الشعاب في اليوم المضروب، ألوف من أهل نجد بادية وحضر، وقد جاء كل على راحلته مسلحاً ببندقيته وممنطقاً بذخيرته وحاملاً بعض التمر والماء).

وهذا يدل على مدى التلاحم بين المواطنين والملك عبد العزيز وتعاونهم في تجهيز الجيوش في سبيل توحيد المملكة ونشر الدعوة الإسلامية وتثبيت الحكم السعودي.

ومن الوسائل التعبوية الناجحة في المعارك التي اتبعها الملك عبد العزيز كما اتبعها القادة السعوديون الأوائل في أعمالهم العسكرية هي سرعة الحركة وسريتها وتضليل الخصوم وبناء القلاع والحصون والقصور في البلدان التي تطول مقاومة أهلها وذلك لمضايقتهم ومحاصرتهم من الناحيتين العسكرية والاقتصادية حتى يضطروا إلى الاستسلام والولاء لهم.

وقد شمل متحف الملك عبد العزيز الحربي بكلية الملك عبد العزيز الحربية بالرياض وصفاً للحملات التقليدية المتبعة في نجد، ثم قيام الملك عبد العزيز بإدخال التحسينات عليها سواء في أسلوب القتال أم في مبادئ الحرب، تبين لنا استخدام بعض التحركات في المعارك وحركات الالتفاف والتطويق، وحركات الكماشة وأيضاً الحصار المحكم الذي كان يضربه الملك عبد العزيز على خصومه.